



أُخْرَفُ عَيْنِي

منذ ٢١ عام

رواية

رغد الشريف

المقدمة

بماذا تبدأ المقدمات؟؟

لا أحد يقرأها على ما أعتقد..

ربما لكونها رسمية جداً بالعادة ! ، مملة بعض الشيء .

ولكن كيف تكتب ؟ من أي حروف تنسج المقدمات ؟

هي رواية..

تحكي أن الدنيا لا تبقى على حال ،

أننا نفنى في ليلة وضحاها

أنها تتغير ، تتقلب ، تتألم !

ولكنها تهدي شيئاً رائعاً ..

أياً كان هناك شيء رائع في كل حياة .

شيء رائع تحبه جداً ..

هي تعلمنا أن نرضى بالقدر خيرهِ وشرهِ ..

وقد رضينا يا الله فارض عنا ..

ملاحظه :

الرواية عالم آخر ، لم تقتبس أحداثها من حياتي اليومية !

الله عز وجل

إلى كل الذين يملكون أخواتاً ..
أحبوهم جداً.

إبراهيم هلاً استيقظت، الساعة العاشرة والنصف لقد
نمت طويلاً يا بني، هيا لقد جهزت الإفطار هيا هيا

- توقظني أمي كل يوم الساعة التاسعة والنصف
ولكنها تخبرني أنها العاشرة والنصف ,
أعتقد أن هذا التوقيت عند كل الأمهات , لن تكن
أمي أمّاً إن لم تقدم التوقيت ساعه كامله زياده .

- حسناً , لقد استيقظت

- أين إبراهيم ؟

- لقد استيقظ للتو سيأتي الآن

- سيذهب معي للعمل اليوم

- هل سيعمل ؟

- عليه الاعتماد على نفسه يا أروى

- ولكن..

- سيذهب معي وانتهى الأمر .

- صباح الخير

- صباح الخير يا بنيّ، هيا تناول افطارك

- ستذهب معي للعمل اليوم، كن جاهزاً

- هل سأعمل ؟

- ستتعلم .

كلمة أبي لم تكن تتغير في المنزل، أياً كان ما يريده هو
سيحدث.

أثنى عشر عاماً وسأعمل في الحراثة، الفتيه في عمري
هذا لا يعملون ربما يلعبون يدرسون ولكن العمل هذا
مبكر عليهم وعليّ أيضاً.

أمي حامل وستلد، سأحصل على أخت قريباً
دائماً ما تمنيت هذا، أثنى عشر عاماً وحيداً في المنزل
أجلس وأتخيل أنني أملك أختاً حقاً
لم أتمنى أخاً طيلة حياتي، أعتقد أن الأخت ستكون أحسن
والطف بكثير من الأخ.

لا أحب الخروج من المنزل
أجد البيت حضناً آمناً، أخاف كثيراً منذ صغري
كنتُ نادر الخروج، أخرج مع أمي فقط..
أمي الشيء الوحيد في هذه الدنيا يشعرني بالأمان
حُضن الأمهات كبير، لا شيء يعادله البتة.
عندما تربت أمي على رأسي تغمرني بالحنان
مدلُّ لديها أنا، هي دافئة جداً في ليالِ الشتاء، جميلة
أيضاً تحت ضوء القمر، هي فاتنة كأول قصيده لشاعرٍ
ما.
أمي غيثُ رحمته، هي أفضل أم على الإطلاق
تملك عيون زرقاء اورثتني إياهما، وشعر ناعم قصير
أسود، ينافس في غُمقته لون عيناها النادر.

2

كنت قد ذهبتُ إلى العمل مع أبي بأعجوبة
يداي كانتا باردتان طول اليوم
كالعادة كان أبي قاسياً قليلاً لم يضع في باله أنني ما زلت
صاحب اثني عشر عام .
علّمني حرث الأرض، أرضُ الأغنياء اللذين يملكون
أولاداً بنفس عمري.
أخبرني أبي أن الدنيا ستبدو صعبةً في البداية،
لكنّها ستصبح أفضل بمرور الوقت.
أفضل شيء علمني إياه أبي كان الصبر،
هذا أول يوم لي في العمل، وبدأتُ أتذمر
أبي يعمل منذ سنين، يتذمر قليلاً ولكنه يعمل.
إنّه قليل الحديث معي، لا يتحدث إلا للضرورة
عندما عدت للبيت، كانت يداي متسخة وملابسي أيضاً

مررتُ بجانب مرآه، نظرتُ إلى وجهي فوجدته
يشبه وجه أبي عند عودته من العمل كل يوم .
كان قد احترق قليلاً من الشمس، وجهي الأبيض لم يعد
كذلك، شعري المسرح بدا لي مشوشاً
وشعرت أنني أشبه أبي، ولكن سرعان ما غيرت الفكرة

- هل عاملك والدك بقسوة ؟

- قليلاً فقط، لم نتحدث كثيراً

- لا تغضب من والدك، يريد منك الاعتماد على
نفسك، إنه مرهق قليلاً من العمل يومياً
ولكنه حنون .

- هل أبي حنون يا أمي ؟

- يملك قلباً حنوناً جداً، كما أخبرتك إنه تعب قليلاً

- هل ستلدين قريباً ؟

- نعم قريباً جداً، نعم الآن

سأملك أختاً أخيراً

أختاً اطمئن لها، أحبها وتحبني

عندما تأتي أختي سنلعب في فناء منزلنا، سأدعها تنام
معي، عندما تأتي سنذهب للتنزه، سأشتري لها الحلوى.

عندما أحزن سأتي إلى أختي، وعندما تخاف سأعانقها

سأستشيرها في كل شيء، هي

عالمي المليء بأسراري

سأحكي لها ما حصل في اثني عشر عاماً من دونها .

وأخبرها عن الكثير أيضاً

لعل أختي هنا.

في صباح اليوم التالي استيقظت على صوت أمي مجدداً

- استيقظ يا إبراهيم الإفطار جاهز

كان أبي يتناوله إفطاره أيضاً , يبدو هادئاً اليوم
نظرت لي أمي وقالت :

سأذهب مع والدك اليوم لألد , ستبقى هنا
كان ينظر لي أبي نظرة أن ما تقوله أمك صحيح
ثم ابتسم .

أبي ابتسم , أبي متحمس لرؤية أختي أيضاً

لم أتناول افطاري من السعادة, ذهبت إلى غرفة أمي
وأبي التي فيها سرير أختي
بدأت أتخيل كيف تبدو أختي،
هل عيناها ك أمي وأنا، أم ك أبي؟؟

كيف سيبدو شعرها، خداها، يداها؟؟
كم أتمنى أن تأتي وتكبر، أن أريها العالم بشكلٍ غير
الذي أراه به أنا.
أن أثبتَ لنفسي ثم لها أن ليس كل الرجال كأبي،
ولكنّ أبي يحب أختي.
لقد ابتسم لها، سأشكرها على هذا أيضاً

هيا إبراهيم انتظرنا بهدوء، لا تفتح الباب لأحد.

ثم قبلتني وربتت على رأسي وابتسم.

أهدتني حباً قبل أن تذهب، كأنها تخاف أن أغار من
أختي كما يفعل الأخوة!

ولكن لا، أنا ساحبها أكثر من الجميع، لو تعلمين يا أمي
كم سأعتني بها، كم ليلة لم أنم وأنا أحلم بملامحها
كم وكم وكم لا تنتهي يا أمي.

ثم قال أبي: انتبه على نفسك يا إبراهيم

لا أعلم لماذا منذ أن أخبرتني أمي أن أبي حنون بدأت
أرى هذا، أولاً ابتسم ومن ثم " انتبه على نفسك " ما هو
التالي؟

ذهبا وأغلقا الباب، ذهبت مرة أخرى إلى سرير أختي
الوردي الصغير، وأنا أراه أجمل شيء في الدنيا.

يبدو أنني غفوتُ على سريرها الصغير،
عندما فتحت عيناَيَّ كانت الشمس قد غابت.
ذهبت للطابق السفليّ ظناً مني أنهم عادوا، ولكن لم أرى
سوى أبي.

ضحكت وركضت إليه

هل ولدت أختي؟؟

أين هي الآن؟

نظر لي نظره عميقه، عينا أبي كانت غير واضحة من
الدموع!

ولكن لا، لا أعتقد أن أبي يحب أمي هكذا، لا أعتقد أنه
حنون لدرجة أن يبكي لأن زوجه تتألم.

أبي قاسٍ من الخارج جداً، لن يبكيه ألم ولادة

لن يبكيه!!

بدا الأمر مستحيلاً جداً، كيف لتلك العيون أن تبكي!

بقيت جالس دون حراك، أرى أبي أمامي منهار
هو يبكي وأنا أضحك!

ولكن ما داعي البكاء، إن كان سيرزق بفتاه اليوم هذا
أمر جيد لماذا البكاء؟
الأمر بدى مخيفاً قليلاً

- ماذا حصل؟ هل هو أمر سيء؟

- سيء جداً، أمك توفيت!

- ماذا تقصد؟؟

- أمك لن تعود يا إبراهيم، لن تعود

أخرج تلك الكلمات ورحل، وبقيت أنا..

أسمع صداها مراراً، تعاد آلاف المرات

بنفس الصوت، ولكن شيئاً ما يمنعني من تصديقها

لم أعط ردة فعل مباشرة , دموعي تهطل دون أذن مني

أبكي دون استيعاب ما حصل، كيف رحلت؟

كيف ودعتني قبل رحيلها؟

هل شعرت أنها لن تعود؟

ماذا جرى هنا؟؟

أبكي لا مبالي بعدد الدموع، ضحكاتي منذ قليل تلاشت
أمامي تسخر مني، والدنيا كذلك.

بدا كل شيء يشمت بي، كل شيء!

كنت أبكي..

وقلبي يبكي، وعيوني تبكي

جدران منزلنا كانت تبكي، وغرفة أمي كانت تبكي،

مائدة الإفطار كانت تبكي، وكل شيء عرف أمي في

تلك اللحظة كان يبكي..

وأبي كان يبكي!!

يبدو أنه أغمي عليّ،

وجدت نفسي في سريري ووالدي بقربي
تمنيت لو أن كل شيء كان مجرد كابوس، وأنني سأجد
أمي في غرفتها ترضع أختي الصغيرة.
تباً للأحلام!

قطع سلسلة أفكار أبي، الذي ناداني "إبراهيم"
أول مرة أسمع أبي ينطق اسمي هكذا
قالها كما تقولها أمي، نظرت إلى عينه كانت تحكي
الكثير.

أخبرتني عيّناه كم هو حزين، كم هو نادم جداً
أخبرتني كم هو مجروح، كم أن الدنيا ظلمته
كم أنه تحمل، كم كان الليل مظلماً في البارحة!
أرادت أخباري المزيد..

ولكن "المزيد" هذا لم أفهمه

كان كثيراً مختلطاً بالدموع، شيئاً فيه شفقة عليّ

شيئاً أكبر من موت أمي وأختي!
ضمّني أبي، تمنيت البارحة أن أرى حنان أبي، ولكن
ليس لهذا السبب البتة.
كان يعانقني بشده، كأنه يقول للعنينا لا تفرقينا نحن
الإثنين
وينظر لعيوني، الشيء الباقي من أمي
الشيء الذي يستطيع أبي أن يرى أمي من خلالهم
ولكن يا أبي!!
أمي ذهبت وتركتنا.
تركنتي أواجه الدنيا وحدي، تحت ركام وألم موتها هذا
تركنتي أخاف من الأحلام الذي تلاشت فجاء
أخاف من الليل الذي جاء يحمل خبر وفاتها أمس!!

مضى أسبوع على وفاة أمي
أبي يبدو شاحباً جداً، إنه لا يملك قوئ البتة!
يخرج كثيراً من المنزل، لم يعد يغضب أو يصرخ
لقد تغير بعد فقداننا أمي.
باع أبي أدوات الحراثة، إنه يدخر المال لشيء ما
اليوم السبت..

توفيت أمي السبت الماضي

5 \ 8 \ 1999

عاد أبي من الخارج، نادى عليّ
إبراهيم، تعلم أن المنزل لم يعد منزلاً بعد وفاة والدتك
مضى على ذلك أسبوع، كان شديد الألم
بعت أدوات الحراث كما تعلم
ستذهب غداً صباحاً إلى البلدة، تم قبورك في ميتم ستبقى
هناك من الآن.

حاولت جاهداً تجهيزك لقسوة الحياة، هذا ما أستطيع فعله
من أجلك يا بني

من أجلي؟؟

هل "أجلي" هذه أن أبقى في الميتم؟؟

ولكن ماذا يتوقع من أب كهذا؟

أود لو أصرخ بوجهه، لو أعيد تذكيره أنني أبنة
ولكن لماذا؟؟

لماذا يفعل هذا؟

هل كان ينتظر موت أمي؟

هل أنا الآن عائق بطريقه؟؟

أياً كان فقط أن يتخلص مني؟

كيف له أن يملك قلب حجري بهذه الطريقة؟

أي أبٍ بحق السماء؟

كيف سينظر لوجوه الناس؟ إن لم يملك مشاعر لموت
أمي فأنا أملك!!

لعلني لم أراك، لعلك أنت من متّ لا أمي

- ستعلم يوماً سبب هذا، هناك الكثير الذي لا تعلمه

كن قوياً يا إبراهيم، قوياً على هذه الحياة

إياك ان تحكم على بسرعه، لقد جبرت.

ما أريدك منك ألا تخاف

الخوف ليس حلاً، أريدك أقوى

عندما أرحل ستبقى وحيداً، تذكر حينها كم أحببتك

كم كنت أراك كبير

أنت لا تحبني الآن، ربما يا إبراهيم يكون هذا آخر لقاء
لنا

تذكر أنا لم أتخلى عنك، الدنيا تخلت عنا جميعاً

قدر لك أن تصبح رجلاً من الصغر، كنت أتمنى لو

أراك كبيراً ولكن القدر ليس في صفي.

مهما ضاقت ستتسع أعدك، لم أتخلى عنك تذكر هذا

جيداً يا بني..

هذه النقود هنا، استيقظ غداً صباحاً في السادسة
أتمنى لو أستطيع البقاء.

عدني ألا تقف عن الأحلام الجميلة أنت وأختك
عدني أنك ستضع أختك في قلبك، أن تحمل عائلتك أينما
رحلت.

إبراهيم..

لا تُلْمني!!

أغلق الباب ولكنه أغلق على قلبي.
ظننت أن أبي حنون ولكن..
يتحدث كأنه يحكي قصه، لا دموع في عينيه حتى
رحلت أمي وأختي لماذا يرحل هو أيضاً
كم جرحاً في أسبوع؟؟
هل سيكون عائله جديده؟ إلى أي مدى لا يحب هذا
الرجل عائلته؟
أعتقد أن الآباء يكافحون، يسعدون مع عائلاتهم.
ولكن أبي؟
هو مختلف تماماً، لا يشعر البتة!!

أنا مدمر..

مدمر من كل الجهات

ممزق، حزين، أشعر أنني مت ولكني أتنفس!

تباً لكل اللحظات التي عشتها

لماذا ذهبت أُمي وأختي؟؟

لماذا تركتني مع عديم الضمير هذا؟

لماذا ظننت أُمي أنه يملك قلب؟ كيف ظننت أنا أيضاً؟

عديم المسؤولية!

كنت أبكي، أبكي بتمزق..

للمرة الأولى بعد رحيل أُمي أنا أبكي بشعور

بكيت كثيراً، ولكن لم أكن أشعر!

هذه المرة أتمزق، قطعاً قطع.

ذهبت أُمي وأختي، ذهبت أمانتي وأمنياتي

كيف لهذا الأمر أن يسوء أكثر؟

أي فتى يعاني مما أعانيه أنا؟

كيف هو مجبر على ترك ابنه؟ بأي طريقةٍ جبر؟

كيف سألهم هذا عندما أكبر؟
لماذا هو يكرهنا؟
بأي حق تركني هنا؟ بأي حق يجعلني أتألم؟؟

ماذا كانت أمي ستفعل لو هي هنا؟
ركضت إلى سريرها أضمه، أمسك ملابسها أشمها
مرة واحدة فقط عودي!
عودي أخبريني ماذا أفعل، إلى أين أمشي
أي طريق أسلك.
عودي ودعيني!!
لا الليل ليل بعد رحيلك ولا الصباح صباح.

كيف للمرء أن ينام؟
أن ينام دون أمه، أن يتنفس من هواء لا تتنفس منه أمه
أن يشهد على شروق الشمس وغروبها وأمه تركت الدنيا
وذهبت!!

لمرة واحده من جديد احملني أُمي.
مرة واحده جددي روحي ، احملنيها ، خذيها
العالم مرّ من دونك.
من سيضمنني إن خفت؟
من سيقدم الساعة ويأخرها يا أُمي؟
من سيزيد وينقص عمري حسب مزاجه يا أُمي؟
من سيقبلني؟ من سيعانقني؟ من سيربت على شعري؟
من سيوبخني ثم يدعو أن يرضى علي الله ويهديني؟
من سيحميني؟
من سيربيني؟
لازت صغير ، ليتك هنا تسمعيني همومي؟
ليتك هنا لتجيبني عن الألف سؤال هذا..

الساعة الآن الرابعة فجراً.

أشرب الحليب الذي أحضرته أُمِّي، لذيذ جداً
يحمل رائحتها، أرى انعكاسها في كل مكان.

كم أحبك!

عليّ الذهاب في السادسة هناك ساعتان من الآن
قمت وضبتُ حقيبتِي.

أخذت كل شيء كانت أُمِّي تحب أن أرتديه، كل شيء
تعلق بذلك الرجل لم أخذه.

لم آخذ أياً من تذكاراتي الخاصة

ذهبت إلى غرفة أُمِّي، نظرت بها

منذ أسبوع كانت الحياة جميله، لم أتخيل أنه علي

مغادرة المنزل دون وداع أي أحد هكذا.

كان من المفترض أسبوعاً حافلاً بقدوم أختي

ماذا حصل؟؟

وقعت عيناى على صورة امى؁ ركضت إليها
أتأملها؁ لم أراها جميلة هكذا من قبل.
لوهله قررت أن أقص الطرف الذى يظهر به أبى ثم
تذكرت..

" أنا لم أتخلى عنك "

تراجعت دون شعور؁ أخذت الصورة بهدوء
هناك صورة كنت أظهر بها أخذتها أيضاً.
وعطر أمى المفضل؁

كنت أحمل نظرى عن كل الأشياء بصعوبة
أتمنى أن آخذها جميعها وأرحل.
ودعت كل شيء؁

ثم رأيت السرير الوردى..

لم أراه منذ آخر مرة.

أتأمله وأرى طيف أختى به؁ كنت ستنامين هنا
ماذا حصل يا أنتِ؟

لماذا تلاشيتِ أنت وأمي؟
ضمنت ملابسها، لو أنك بقيتي معي.
كنت سأكون أقوى!

أصبحت الساعة الخامسة والنصف
حملت حقيبتني وذهبت للصالة، يبدو أن أبي لم يأتي
لا يهمني أمره..
ثم مضيت.

أرى منزلي أمامي خالٍ تماماً..
لا أُمي التي تحضر الإفطار وتنسق المنزل
ولا أبي الذي يوبخ!
ولا من بكاء طفلة تخيلته مراراً..
أغلق الباب بهدوء..
أراه يغلق، قليلاً قليلاً
منزلي يتلاشى ببطء!
رحلت حياتي التي كنت أتذمر منها

تلك التي أتمنى أن تعود مرة أخرى.
أغلقت الباب ومضيت..
وآلاف الصرخات بداخلي، آلاف الطعنات
آلاف الدموع..
آلاف الأمنيات التي تحطمت..
آلاف الأفكار التي تتخبط..
آلاف الكلمات..
آلاف النداءات..
الكثير من الأكثر!

أخذت الحافلة المتجه إلى المدينة.
الطريق يستغرق ساعة ونصف، آخر مرة ذهبت بها إلى
المدينة كانت مع أمي
جلست بجانب النافذة
بدا الطريق كئيب جداً، أراه بالأبيض والأسود
لا ألوان في ذلك.
الطقس كان يستعد لهطول المطر، وأمي تحب المطر!
أرى الناس أيهم همه أكبر من همي الآن؟
أيّ منهم يحتاج للشفقة أكثر مني؟
الحياة تستمر أمامي
لا أحد يكثرث لموت أمي سواي
انظر لكل شيء كأنها أول مرة أرى بها المدينة
كل شيء بدا رخيصاً بعد موت أمي.

كل الألعاب التي بكيت عليها بدت بئسه.
كل محلات الحلويات التي توقفت عندها مع أمي
بدت غريبه!

لم أتخيل أن أدخل الميتم من قبل
ولكن الدنيا صغيره،
كم هي لا تعني لي شيئاً الآن!

بناء ضخمة، أكبر من مدرستي
الفناء مليء بالفتية، هناك أشجار تحيط به
دخلت بهدوء
الجميع ينظر إلي، نظرات لا أعلم معناها
قليل منها تعني أهلاً بك
البعض الآخر تقول لي " بأي طريقه أحضرتك الدنيا إلى
هنا؟ "
أما الباقي فتدفعني لعدم الدخول!
ولكنني دخلت.
رأيت فتاً يجلس على المقعد، سألته أين المدير؟
دلّني، أنه لطيف.

ذهبت للمدير..

- تفضل، يبدو أنك جديد؟

- نعم

- هل أنت إبراهيم عمران؟

هزرتُ رأسي..

- وصلتني أوراقك وأوراق الموافقة هذا منزلك بعد الآن..

انتظم بالقواعد، لا تصنع فوضى، كن مهذباً
اذهب للطابق العلوي، ستجد غرفتك هناك
أنت تحت وصاية هذا المكان إلى أن تبلغ سن
الثامنة عشر.

ست سنوات من الآن!

لنرى كيف ستمضي، ذهبت إلى إحدى الغرف،
الفتى اللطيف ذاته يجلس هنا بقرب سرير فارغ.

- هذا المكان لك، جهزه وليد

- شكراً

المكان هنا كبير، كبير جداً

لم أتمنى العدد الكبير من الأخوة هكذا.

كنت أظن نفسي الوحيد الذي أرادت منه الحياة التحمل
ولكنّ كلا..

الجميع هنا كأننا، الجميع يملك قصة، وجميع القصص هنا
صنّفت مخيفه!

لا أظن أنني صاحب أكبر هم هنا، لا أعتقد البتة.

الساعة الآن التاسعة والنصف، لم أكل شيئاً سوى حليب
أمي الأخير.

كيف لأسبوع تغير دهر!
كنت مع أمي، أصبح بها وأمسي بها..
أراها طوال النهار، تغيب عني عند نومها فقط!
هل نامت أمي طويلاً يا ترى؟
هل أحاول إيقاظها؟
ربما هي مرتاحة هكذا..
ولكنني اشتقت لها ماذا أفعل؟؟

_ 12 _

- ما اسمك؟
- إبراهيم
- اسمك جميل
- وأنت ما اسمك؟
- معاذ.
- منذ متى وأنت هنا؟
- عشت هنا على الأغلب
- كم تبلغ من العمر؟
- أربعة عشر عام

- أكبر مني

- كم تبلغ أنت

- اثني عشر عام

- ماذا حصل؟

- الكثير..

- مات والداك؟

- أمي فقط

- أبوك؟؟

- أبي تركني

- هل تركك هنا ورحل

- لا يملك قلباً أليس كذلك؟

- هل هو أبوك أم زوج أمك؟

- أبي

- هل أمر التخلي سهل؟

- على ما يبدو، كيف جئت أنت إلى هنا؟

- أنا لم آتي، لقد تربيت هنا، أخبروني أن أمي وأبي

توفيا في حادث سير، أحضرني أقربائي إلى هنا
هذا كل ما أعرفه.

- عائلتك تحبك هي لم تتخلي عنك

- لا أعلم

- هل تملك صوراً؟

- لا أملك.

- يبدو عليك أنك قوي

- من يعيش هنا يجب عليه أن يصبح قوياً

- هل العيش هنا صعب؟

- ليس بهذا السوء، الوحدة هي شبح هذا المكان

على كل حال ستتخطى الصعاب، المكان هنا جيّد

جيد لمن لا يملكون مكاناً لك نحن.

- هل يطعموننا

- نعم، فطور وغداء

- لذيذ؟!!

- لا بأس به

- أخبرني المدير هن قواعد وما شابه

هل أخبرتني عنها

- نعم بالطبع..

الاستيقاظ دوماً في الساعة السادسة، سنذهب بعدها إلى المدرسة، سنعود من هناك تمام الساعة الثانية ظهراً الغداء في الثالثة،

باقي اليوم لك، تستطيع الخروج ولكن عليك العودة قبل العاشرة

هذه القواعد، القتال ممنوع وإن حدث ستتعاقب.

الباقى ستتعرف عليه من الأيام.

- ماذا عن المدرسة؟

- من ناحية الدروس عليك الاعتماد على نفسك،

المدرسة مليئة بالانتقادات، لا تبالي.

السنة الأولى لك ستدرسها كـ منحه من الميتم،

السنة المقبلة إن لم تتفوق لن تكمل دراستك..

هي فرصتك الوحيدة فاجتهد.

قابلتُ معاذ..

لم أتعرف عليه جيداً، أراه غامضٌ بعض الشيء.

ولكنّه لطيف، أعتقد أنه سيكون صديق جيد

لن أقترّب منه الآن..

القواعد هنا جيدة على الأغلب، لا تبدو أن هناك مشاكل

فكرة أن معاذ الفتى اللطيف بقربي فكرة دافئة.

شدّني هذا الفتى، إنه قويّ هذا واضح على هيأته،

غداً أول أيامي في المدرسة،

واليوم أول أيامي في هذا المكان!

الساعة قاربت على الحادية والنصف ليلاً

الجميع عليه النوم في العاشرة والنصف،

ولكنّ لشخصٍ كـ أنا لا أعتقد، كـ أول ليلة لي هنا أشعر

بالخوف قليلاً.

منذ أسبوع فقط كنت على سريرى، فى مثل هذه الليالى
تماماً.

مثل ضوء القمر هذا ن مثل تلك النجوم ن تماماً ك هذا
الهدوء الآن!

ولكنى كنت أسعد بكثير حتماً، كنت أفكر بعيون أختى
أفكر كيف سأسعدھا، كنت أرسم الكثير من الخطط
خططاً تجعلھا أميرة منزلنا!

كم كانت ستصبح جميلة ك أمى..

أمى الهاربة من عالم الحلوى!

هى امرأة عظيمه، رعتنى اثنى عشر عام.

حمتنى ووبختنى واعتنت بى ، عانقتنى وقبلتنى وربت

على شعرى !

لأنها أمى ، كانت تحبنى كثيراً

ولأنها أختى كنت سأحبھا أكثر بكثير أنا أيضاً ..

الساعة الآن الثامنة إلا ربع ..
أفطرنا سووية ، ثم ذهبت إلى المدرسة برفقة معاذ ..
معاذ في الصفّ الثامن ، وأنا في الصف السادس
ذهب نصف العام تقريباً ، الطلاب متقدمين عليّ ببعض
الدروس ، سأعوضها جميعاً !
أشعر بالنعاس ، لا أعلم كيف سأصمد لنهاية اليوم .
لم يزعجني أحد ، أمر جيّد أضيفه لقائمة اليوم !

- كيف كان يومكما ؟
- جيّد على الأغلب
- ماذا عنك أيها الجديد ؟
- لا بأس به
- أنا أدعى وليد أعمل خادم هنا
- إبراهيم .
- يبدو أنك جائع ، اذهبا تناولا الغداء مع البقيه
- سنذهب حالاً

مرحباً أُمي :

كيف حالك تحت التراب ؟

كيف هي الجنّة ؟

هل أصبحت ملاكاً ؟

ماذا عن أختي ؟

هل هي بقربك ، أم بحضنك ..

هل هيّ ايضاً أصبحت ملاكاً صغير ؟

أخبريني بالتفاصيل يا أُمي .

" اشتقتُ لك "

كنت أخبرك بها عندما تعودين من السوق

لم يكن الأمر يأخذ أكثر من ساعتين ..

ولكنّ الآن !

حين ربّت على شعري هل كنت تعلمين ؟

هل قلب الأمهات يشعر هنا أيضاً ؟

لقد مضى الكثير يا أُمي ،

مضت الساعة والساعتان ، عودي !

عودي أو خذيني معك ..

هل أخبرتك ؟

أصبحت يتيماً من بعدك .

أدركت أن كل اللذين لا يملكون أمهات ك أنت يتامى
كل الدنيا فقيرةٌ من دونك ، وكل البشر ناقصين إن لم
تكوني بينهم !

ثم تركني أبي ..

هل دهشت ؟

تركني هنا ، في هذا المكان ..

أنت لا تعرفين هذا المكان ، هو ميّتم .

حين رحلت يا أمي ظهرت الخفايا حقاً ..

ظهرت الأشياء التي كنت تعتقدينها جيدة ،

ظهرت حقيقتها !

لا ألومك أنا كنت ك أنت اعتقد أنه يملك قلباً حنون ،

أيُّ قلبٍ بربك؟؟

بالأحرى ، أيُّ زوجٍ تزوجتي أنتِ ؟
عشت معه أعواماً ..
كيف اخفى عنكِ حقيقته ؟
أبي لم يحبكِ يا أمي ،
لم يحب أياً من تفاصيلكِ ، كما أن قلبكِ كان ضحية سهلة
على ما أعتقد !!
اختفيت فجأة .
كان عليك العودة وأنتِ تحملين أختي..
لم تعودتي!
ودعتُ منزلنا يا أمي بقسوة، شممت رائحتكِ
ضممتُ قطع الملابس الصغيرة..
وغادرت.
أحمل كل شيء عرفكِ، كل الذكريات،
هيّ ثقيلةٌ يا أمي..
رغم أن مشاعري لأبي أثقل بكثير.

ها أنا هنا الآن!

أحادثك، والكل نائم..

أشعر بظلمة الليل لأول مرة، أستمع لهدوئه الذي يحكي
الكثير!

أتمنى لو أنك هنا،

ولكنّ لأنك لست هنا أنا سأكون أقوى!
أحبك..

- معاذ ساعدني من فضلك هل هذا ممكن..
- بالطبع، أيًا منهم لم تفهم؟
- هذه
- المسألة هنا تتطلب منك التركيز، ألم تفهم على شرح المعلم؟
- كلاً، ربما شردت
- أراك تشرّد كثيراً
- لا أفضل الرياضيات
- والامتحانات؟
- لا أعلم

- عليك اجتياز هذه السنة
- لا عليك..
- أنا سأساعدك إن احتجتني
- شكراً لك
- العفو
- هل تذهب اليوم إلى السوق؟
- ماذا تحتاج
- بعض الأشياء
- هل نذهب الآن؟
- هيا إذن..

- كم الساعة الآن؟
- التاسعة والنصف
- هيا بسرعة قبل أن تصبح العاشرة
- لن يدخلونا صحيح؟
- دعك من هذا الآن
- لقد وصلنا
- هيا هيا
- عندما وصلنا كان وليد ينتظرنا عند الباب، يبدو من
تعابير وجهه أن الوضع لا يطمأن.
- أين كنتما؟
- نتسوق

- أيُّ سوقٍ للآن؟
- ماذا تعني الآن
- العودة في العاشرة على ما أعتقد
- نعم
- وماذا حصل؟
- ها هي العاشرة إلا خمس دقائق
- هل تمزحان؟
- كلا
- إنها الحادية عشر إلا خمس دقائق، كيف لم تنتبها
- ولكن ساعة إبراهيم تدل على العاشرة
- هل اعتمدتم عليها؟

- نعم

- تحملا غلطتكما، ابقيا في الحديقة حتى الصباح

- كيف نبقى هنا؟

- لا أعلم دبرا نفسيكما.

- هل أنت جاد؟

- نعم

- ولكن يا وليد..

- دعك منه إبراهيم لن يغير رأيه..

- انتبها

- تبأ..

- ماذا سنفعل الآن؟

- لا أعلم، لم أطرّد من قبل..
- هل نجلس هنا؟
- هيا
- انظر الأمر ليس بهذا السوء، فلنستمتع!
- كيف
- هل أنهيت البطاطا المقلية؟
- كلّاً لحسن الحظ
- أشعر بالبرد..
- خذ معطفي لا أحتاجه..
- هل تمثل دور الأخ الكبير؟
- أنا لا أمثل هذا الواقع

- هل تعلم يا معاذ؟

دائماً ما حلمت بأخت، تكون معي..

كنت أتمنى أختاً في كل الأحوال، وكانت أحلامي ستصبح حقيقة، ولكنها تلاشت..

لا أعلم كيف تلاشت؟

فجأة أنا هنا، تعلمت أن أعيش هنا بسرعه

مضى الأسبوعان والثلاثة بل حتى الشهر!

ولكنني لست مدركاً بعد..

أظن أن الأمر مجرد حلم، إلى الآن أنتظر أن استيقظ منه

كنت سأملك أختاً يا معاذ، أختاً ك أنا.

ثم ماذا حصل؟

لازلت أحارب في حلمي، مازلت لم أعود للواقع

وأظن أن الواقع هذا تحول إلى حلم أيضاً.

انظر لي الآن، لا أملك شيئاً له قيمة سواك!

هل تصدق، كلما شعرت بالضعف أتذكرك..

عندما رأيته أول مرة علمت أن روحاً بك قابلت روحي
من قبل.

أنت أخي،
لم أتمنى أخاً من قبل، ولكنك أتيت.
حطمت كل اعتقاد كان في بالي عن الإخوة!
لذلك أحب أن أناديك " أخي معاذ "
- هل أنا كل هذا؟

- بالنسبة لي، نعم

- إبراهيم صديقي..

أنت فتى جيد، قوي، أعلم تماماً ما تمر به.
لم أملك صديقاً حفيف الروح كـ أنت من قبل، وأظن أنني
لن أملك أيضاً.

الحياة في كل مرة تهدينا شيئاً جديداً،
شيئاً غير الذي نتمناه البتة، ننام لنصحو فنرى ما لم يكن
في الحساب.

شيئاً جديداً قدمته الحياة لنا.

ربما لا يتجارى معك، لا ينطبق على آمنياتك!

انتقم منها يا إبراهيم، انتقم من الحياة.

- كيف ننتقم؟؟

- بكونك سعيد.

سعيد بقدرك، سعيد بأصدقائك، سعيد لأنك عشت يوم
زيادة يمكنك فيه التغير ...!

السعادة ليست مالا فقط، ليست شيئاً يمكن للحياة منعنا
منه.

السعادة بنا نحن، نحن من سيبحث عنها

لنجدها في تفاصيلنا، لنجدها في وجوه الناس

ربما نجدها في عزلتنا، وربما نجدها بضحكه شخص

ربما نملك السعادة بامتلاكنا شخصاً لنا.

لن تسير سفينتنا بما نهوى، لن تهدينا الحياة ما نتمنى من
سعادة!

أظن إن كانت الحياة شخصاً لن تكون سعيدة بكوننا
أقوياء.

أقوياء في كل مرة تدفعنا لمواقف تجعلنا نبكي ولا نبكي.

أقوياء في كل مرة تفرقنا عن نحب ولا نضعف.

أقوياء في كل مرة يخيب ظننا بأحلامنا ولا نقف.

في كل مرة تحزننا ونكون سعداء بها!

هي لن تهدينا أقداراً تناسبنا، نحن من سيتقبل الأقدار

بطريقه تجعلنا بخير جداً.

- أنت صديق ذهبي،

الطيور طيور، السماء سماء، ولكن أنت!

أنت لست أنت!

أنت مذهل، مدهش..

مميز جداً أنت.

مرحباً أمي " 2 "

اشتقت كثيراً جداً،

أكثر من عدد المرات التي قبلتني فيها حتى!

هذه المرة سأحكي لك عن أخي،

أخي الذي لم يشاركني بطنك تسعة شهور
ولكنه شاركني الكثير باستثناء هذا..

معاذ، شاب في الرابعة عشر من عمره

يكبرني بعامين، علمته الحياة ما لم تعلميني يا أمي.

ممتن أنا لهذا الصديق،

سمعتك تدعين لي أن أجد صديقاً هيناً ليناً ك معاذ.

لعلك هنا لأعرفك عليه، لأريه أن أمي عظيمه جداً

ولكنه يعتقد هذا بالفعل!

كنت سأقع بعد موتك..

ولكنني مددتُ يدي فأمسكها معاذ.

أعاد لي شيئاً فقدته من بعدك، أعتقد أنه الشغف.

معاذ صديق جيد جداً،
وأنت أيضاً أم جيدة جداً!
مرّ أسبوع الامتحانات، كان متعباً قليلاً..
لم أعاني من شيءٍ سوا " الرياضيات "
أنت تعلمين أنّي لا أفضلها، الباقي كان جيد على ما أعتقد
لنرى متى ستظهر النتائج!

- صباح الخير
- صباح النور
- منذ متى أنت مستيقظ؟
- منذ التاسعة
- كم هي الآن؟
- الحادي عشر إلا ربع
- يا إلهي
- لقد أصبحت تستيقظ متأخراً في الإجازة
- لا أعلم أشعر بالنعاس
- هل أنت ذاهب إلى مكان اليوم يا معاذ؟

- كلاً، لماذا؟

- سأذهب للتسوق.

- هل آتي معك؟

- لا، لا يحتاج

- كما تريد، ولكن لا تتأخر

- حسناً

بما أننا أصبحنا في الشهر الثاني من الإجازة
فعلينا العمل لكسب المال. |
اليوم ذهبنا سويةً لإيجاد عمل يناسبنا،
أنا ومعاذ وبعض الأصدقاء..
بحثنا كثيراً جداً، دلّنا المدير على عمل يقع بقرية قرييه
من هنا قليلاً، ترددت بالذهاب.
ولكننا ذهبنا جميعاً.
عندما وصلنا كان العمل عبارة عن حراثة الأراضي
ك عمل أبي، تذكرته فجأة..
لم يخطر على بالي منذ زمن.
بدأنا العمل اليوم، غداً سنعود وكل يوم!
العمل متعب قليلاً ولكنه يستحق.
أنت تعمل لتكسب مالاً لك، هذا بحد ذاته كفاح
هذا بحد ذاته قوة.

كما أخبرني صديقي معاذ من قبل:
" الحياة لن تهدينا أقداراً تناسبنا،
نحن من سنتقبل الأقدار بطريقة تجعلنا بخير جداً "
فكرت كثيراً بما قاله..
لم أنم ليلٍ عده وأنا أعيد التفكير في حياتي.
عدّة مواضيع متداخله، الكثير والكثير من الأفكار،
تحتاج ترتيب.
في الحقيقة لا شيء مرتبٌ بعد أمي.
جميع المشاكل عليك حلها وحدك، أنت مسؤول عن
حياتك هذه،
رغم أن سنك لن تتجاوز الثانية عشر، إلا أنك في
العشرين.
أنت كبير جداً لأنك صغير!
كما تفعل الطيور، تعلم الأم ابنها الأكل وال الطيران
ثم ترحل.
أمي علّمتني الأكل، ولكن الطيران؟؟

لم تعلمني التحليق.
أن أطير للسماء إن ضاقت الأرض.
لو كانت علمتني لكنت أفضل، رحم الله قلبها.

ماذا عن حياتي التي فكرت بها؟
عن الأفكار التي يتوجب عليّ ترتيبها؟
كيف سأعيش معها؟ كيف أتقبلها؟
كيف سأدوّن الذكريات الجميلة كي لا ترحل عني؟
لعلنا نستطيع فعل هذا، أن نضع الأيام الجميلة في قائمة
التفضيل، نعود لها متى أردنا،
دون أيّ عناء .

أن نملك صندوقاً صغيراً نخبئ به من نحب.
أن نضع كل شيء يهمننا أمره جانباً، نستثنيه عن الجميع
كي لا يخالط متاعب الحياة، أن يدوم الأشخاص للأبد،
للأبد دون أيّ ألم، دون أيّ فراق، أيّ دموع.

أمي رحلت، حملت أختي على أجنحتها وطارَت.
بعيداً عني.

ولكنني سألحق بهم يوماً، أنا أيضاً سأحمل ذكرياتي
وأطير..

في يوم ما على ما أعتقد!
كانت أمي تحبني، وستحب أختي ..
ولكن أبي،

كنت أظنه هكذا، ثم أصبح في نظري غريب.

كيف هو الآن؟؟

في أي أرضٍ يعيش؟؟

أين رمى بي؟؟

مع من استبدلنا؟؟

هل حقاً لم يتخلى عني، هل الدنيا تخلت عنا جميعاً؟؟

هل يحبني؟ كيف رحل هذا الرجل؟

ألا يشعر بالذنب؟

ألا يملك ضمير يأنبه؟؟

علّمتني معلّمتي في الصف الأول،
أن الدنيا تعيد تكرار ما نقدمه لغيرنا، لتوصله
لنا يوماً ما.

كما قال المثل " الدنيا دوّاره"
يا معلّمتي، هل ستدور بأبي؟
هل سيعود ما فعله بي يوماً إليه؟
حتى وإن كان أبي؟
هل ستدور حقاً؟ أجيبيني؟

إلى صديق قديم:

مرحباً،

هل تذكرتني؟

كنت أجلس دوماً بالمقعد الخلفي لك!

نعم أنت هل تذكرتني؟

أنا إبراهيم، الفتى الانطوائي الذي يملك الكثير بداخله
إبراهيم الذي كان يستغرب منك!

ألف علامة تعجب تظهر عليه عندما يراك بقوتك!
جئتُ طالباً منك الحديث.

كنت أنظر إليك بنظرة الـ "كيف" وبداخلي أتمنى لو
أعلم حقاً كيف أنت قوي هكذا؟

ثم حلّ بي ما حل، وجدتُ أن السؤال عن كيف
حان وقتها الآن.

فبادرتُ إليك..

أريد سؤالك،

" كيف " استطعت أن تتقبل قدرك؟

في حين أن جميع الفتية كانوا ضدك؟

الجميع كان يضحك عليك..

على طريقة كلامك، على عمل والدك، على شعرك!

الجميع يضحك، وأنت تضحك أيضاً.

تضحك بروحك الجميلة، متقبلاً جميع الانتقادات تلك!

كيف وصلت إلى هذه المرحلة أخبرني؟؟

لعلني أصل.

لأن الدنيا تضحك عليّ بدل الفتية،

أفكاري مشوشه، أريد تقبل القدر!!

أن لا أنهار عند سماعي لمثل هذه الضحكات.

أحكي لي عن الـ " كيف "،

أحكي لي عن نوع روحك!

إبراهيم

29\ 12

- كيف يسير العمل؟

- لا بأس به

- هل هذه أول مرة تعمل

- كلاً، عملت قليلاً مع والدي

- جيد، على الأقل علمك شيء.

- نعم، ما رأيك أنت به؟

- في الحقيقة الأرض كبيرة جداً، تحتاج جهد

أكبر، مع أدوات حراثة أيضاً، أعتقد أننا قليلون عليها

- ما تقوله صحيح

- المال الذي نكسبه لا يساوي قمة تعبنا.

- لم يعجبني الأمر

- سأخبر المدير أن يبحث عن عملٍ بديلٍ

- هذا ضروريّ!

- بالفعل

- هل تناولت الإفطار؟

- ليس بعد؟

- هل أحضره لك؟

- هل ستذهب؟

- نعم

- أنا قادم إذاً.

- حسناً

إلى أختي:

صباح الخير،

كيف أصبحت أختي؟

هل شربت الحليب جيداً؟

هل أُمي تعتني جيداً بك؟

من تحب أُمي أكثر؟ أنا أم أنت؟

أنا إبراهيم، أخوك..

أكبر منك بـ اثني عشر عاماً.

من تشبهين؟؟

أبي أم أُمي أم أنا؟

هل تحبيني؟ لماذا رحلتِ إذاً؟

انظري إلى ملابسك الوردية، لعَلَّني أحملك بدلاً منها

لو تعلمين كم أحبك..

كثيراً جداً يا أختي،

كثيراً جداً.

- معاذ يا صديقي
- نعم
- هل يمكننا الحديث
- بالطبع
- هل تشعر بالنعاس؟
- قليلاً فقط.
- حسناً لن أطيل عليك
- لا بأس
- ماذا عليّ أن أفعل في حال اشتقت لعائلتي؟
- إبراهيم
- ولكنني اشتاق حقاً

- أعلم

- ماذا أفعل؟

- لا أعلم بالضبط.

- ألا تشفق لعائلتك؟

- لا أعلم، أنا لا أعرفهم، لا أتذكرهم، لا تمدني

بهم ذكريات البتة!

- ولكني أعرفهم، أتذكر عائلتي، تمدني بهم ذكريات!

- أتمنى لو عرفت عائلتي كانت.

- الجرح أعمق يا معاذ !

سيصبح أعمق إن كنت تعرفهم .

- ما بال الجروح يا إبراهيم ، لتصبح أعمق !!

على الأقل أعرف أصلي ، أعلم من أشبه منهم

أحمل عطرهم ، صوتهم ، نظراتهم ، شيئاً منهم

شيئاً يواسيني إن رحلوا عني !!

- عطرهم ، صوتهم ، نظراتهم ، كلها أشياء جميلة

جميله ما دامو على قيد الحياه ،

ولكنّ إن رحلوا !!

تصبح قاسيه ، مؤلمه ، غير مناسبه للاستخدام كذكرى .

غير قابله لتذكرها لأنها توجع !

- توجع ولكنها أفضل من لا شيء .

تملك صوراً على الأقل .

- صوراً تجرحني كلما حاولت الالتئام !

أهذا ما تريده ؟؟

- تجرحك أنت ، لأنك أنت من تستخدمها بطريقة

تجعلك تتألم في كل مرة تنظر لعينيّ أمك !

- كيف سأراها إذن ؟

- انظر لها لتجعلك أقوى ، اجعلها تتكلم ، كأنها تقول

"أنا فخورة بك" في كل مرة تتقدم أكثر

- ولكني لست أفضل حالاً منك ، أنت لا تملك ذكرى
تألمك رغم صعوبة النسيان !
- نعم لا أملك ، لا أملك شيئاً على الإطلاق .
لا أعرف أسم أمي ، ولا أبي .
لا أعرف لمن أنتمي !
مجرد التفكير في فكرة من أشبه قاسيه ،
أيّ اسم عائلة سأكتب بعد أسمي ؟
ماذا عن أمي ، كيف تبدو ؟
أي ملامح سرقتها من القمر ؟
ما شكل شاربا أبي ؟
أيّ الصفات الحميدة يحملان ؟ أيّ حلمٍ أرادت أمي أن
أكونه ؟
كيف أراد أبي أن أصبح ؟
أنت عشت معهم اثني عشر عام ، ألا يكفيك ؟؟
قل لي أنني جنّت إلى هنا وأنا رضيع .
أحمل كل تلك الأسئلة التي لا تملك جواباً عندي

بينما أنت تملك كل الأجوبة!!

- كلانا يتألم، كلانا لم يعرف والداه.

كلانا لم يقترب منهم إلى الحد المطلوب!

أنت تمتلك جرحاً وأنا أمتلك آخر،

رمم جرحي وسأضمد جرحك، بعثنا لبعضنا كي لا نحزن.

ما فائدة الصديق إذن؟؟

لن نعيد تكرار ما حصل مع عائلاتنا.

- لن نتركهم أبداً

- هل ننام الآن؟

- نم جيّدا

- وأنت كذلك.

إلى إبراهيم:

مرحباً، كيف حالك..

وصلتني رسالتك منذ أيام، البريد يأخرها قليلاً.

بالتأكيد عرفتكَ! أنت إبراهيم الأشقر!

إلى أين رحلت يا صديقي، سررتُ برسالتك جداً.

حسناً إذن.

كان موضوع رسالتك يتضمن الـ " كيف "

التي سأجيب عليها هنا.

لا أعلم تفاصيل ما حصل لك، ولكنني سمعت عن موت
أمك وما شابه " عظم الله أجركم "

صديقي إبراهيم..

التكيف مع البيئة التي وضعتك الحياة بها أمر شاق.

ولكنّه هام أيضاً.

أنت أيضاً كنت تسمع ضحكات الأولاد،

اتخذت قراراً من البداية.

دوايتُ رُوحِي مِنْهُمْ جَمِيعَهُمْ، مِنْ جَمِيعِ الضَّحَكَاتِ
أَصْبَحْتُ أَفْضَلَ بِكَثِيرٍ عِنْدَمَا رَأَيْتُ أَنَّنِي أَمْلِكُ
مَالاً يَمْلِكُهُ الْآخَرُونَ، قَارَنْتُ نَفْسِي بِهِمْ.
فَوَجَدْتُني أَفْضَلَ مِنْهُمْ بِكَثِيرٍ!
رَزَقَنِي اللَّهُ أَشْيَاءَ مُضَاعَفَةٍ عَنْهُمْ جَمِيعاً،
تَقَبَّلْتُ قَدْرِي، عَشْتُ مَعَهُ
لأنه كَتَبَ لِي هَكَذَا وَأَنَا رَاضٍ جِداً بِهِ.
مَاذَا عَنْكَ؟
رَبِّمَ أَنْتَ تَعَانِي بِشَكْلِ مُخْتَلَفٍ قَلِيلاً عَنِّي.
رَبِّمَ ضَغَطَتِ الْحَيَاةُ عَلَيْكَ كَثِيراً
اصْبِرْ يَا صَدِيقِي،
اصْبِرْ وَدَاوِي رُوحَكَ كَيْ لَا تَتَأَلَّمَ فِي كُلِّ مَرَّةٍ.
كُنْ هَادِئاً، بَارِداً كَالثَلْجِ أَمَامَ الْمَوَاقِفِ السَّاذِجَةِ تِلْكَ!
لَا تَعْطِي رَدَاتِ فِعْلٍ قَوِيَّةٍ، كَيْ لَا تَهْزِمَ أَمَامَ نَفْسِكَ.
لَا تَحْزَنْ!

لا تبكي وحيداً، إن أردت البكاء ابكِ مع صديق.
لا تنعزل، اجعل أمامك هدافاً كبيره كي تثبت للحياة
قوتك، وتثبت لأمك كم أنت كبير.
اخذ للنوم في كل ليلة وأنت تعد نفسك أن اليوم التالي
لن يكون سيئ البتة، ستضحك!
أيضاً لا تنسى الصلاة.
هي أكثر الأركان طمأنينة!
عش مع ما كتبه الله لك بحب، أرضي بقدرك!
إن أردت أيّ استفسار آخر أرسل لي.
هذا ما أستطيع قوله عن الـ " كيف "
ممتن جداً لأنك لم تكن تضحك معهم، ممتن جداً لتذكري
وممتن أكثر لسؤالي أنا خصيصاً.
أرحب بك دائماً ك صديق مفضل

صديقك:

أنس

6 \ 1 \ 2000

- هل نستطيع التكلم معك
- نعم تفضلاً
- نحن هنا لنتحدث بشأن العمل
- هل هناك مشكلة؟
- ليست مشكله
- نود تغيير العمل
- السبب؟
- إننا نعمل بجهد كبير، المال المدفوع لا يساوي الجهد
- قليل؟؟

- بعض الشيء

- حسناً، ابقوا فيه إلى حين وجود عمل بديل، هل هذا مناسب؟

- نعم شكراً

- العفو.

إلى أمي " 3 "

مساء الخير لعينيك.

ابنك المطيع، الذي رحلت عنه وأنت راضيه تماماً
كما عهدتیه دوماً.

اليوم ظهرت نتائج السنة الدراسية هذه،
شاركتني بعض أيامي فيها، ثم تابعت وحدي.
لقد اجتزت هذه السنة جيداً
أخذت درجه ممتاز في كل المواد سوا الرياضيات.
كانت جيّد جداً.

أنتِ تعلمين كم أعاني منها،
أخي معاذ الذي حدثتك عنه، هو أيضاً تفوق
أتمنى أن أريك شهادتي لتفحصيها،
لتوبخيني إن لم تعجبك الدرجات التي أراها جيّده
أتمنى أن تكوني فخوره بي، أحبك..

قاربت الإجازة الصيفية على الانتهاء.

اليوم بدأ الجو بالتغيير

أحب الشتاء.

وأحب الشقراء التي كانت تحبه

وأحب المطر كما تحبه أيضاً

أحب الغيوم والسماء التي تشبه عيناها

أحب الطعام الذي يطهى في الشتاء من يدها

أحب كل شيء، كل شيء لمستته أُمي يوماً

كل زهرة اختارتها أُمي واقتطفتها

كل سبب جعل ثغر أُمي يبتسم

أحب الكثير، الكثير من أجل أُمي.

الحياة تسير كما يتوجب عليها المسير،

وأنا أسير بقرب الذكريات.

أصبحت أقوى، أشعر بنبضي!

أحاول أن ألمم شتاتي،
كل شيء بعثرته الأيام بداخلي رتبّ
أو بالأحرى، ما زال يرتب.
أيقنت أيضاً أن لكل روح حياتان.
حياة بداخلنا نعيشها مع أنفسنا، نستمع بسيئاريو
خاص بنا، ننسجه من خيوط مخيلتنا.
بداخلنا طقوسٌ أيضاً، نحن من يقرر كيف سيمر يومنا
أيُّ حلقة سنشاهد غداً؟
أيُّ شكل سنبدع لنصنع حياتنا التي بداخلنا؟
لنهرب من حياتنا الواقعية.
الحياة الأخرى، التي نعيشها لنشاركها
الحياة التي تظهر للناس صورنا.
تظهر قوتنا، صبرنا ، مجاهدتنا .
لنصل لسلام حياتنا الخاصة ، لنحصل على الاطمئنان
في كلتا حياتينا ، لنصل إلى مرحلة نعيش واقعنا بحب
ورضا كما كنا نعيش في مخيلتنا .

إلى هنا أنا وصلت .

أصبحت أشعر أنني أنتمي لهذا .

أنني حقاً أعيش حياتي التي كتبها الله لي .
أرى الأشياء بعدسه تجعلني أتكيف مع الصعوبات ،
صنعتُ قوىً خارقة بيدي .

وأنا ممتنٌ للأيام .

ممتن للرجل الذي كبر بداخلي .

ممتنٌ لأمي .

ممتنٌ لمعاذ .

ممتنٌ للأنس .

ممتنٌ جداً ..

إلى أنس :

مرحباً ، وسلاماً عليك خصيصاً .

أنس إذاً ، حاولت تذكر اسمك لكنني لم أتذكر .

أهلاً بك يا أنس .

أنا بخير ما دمت بخير أنت ،

أجرك أعظم ، نعم توفيت أُمي وأختي أما أبي فرحل .

أقيم بالميتم الذي يقع في المدينة .

فلتأتي ان استطعت لأقابلك

أنت فتىً عظيم ، حاولت أن أكون ك أنت .

أتمنى أن أكون نجحت ،

أشكرك جداً على نصائحك ، وأشكرك على كلامك

اللطيف الذي رمم روعي .

ممتنٌ لأنك أعطيتني جزءاً من وقتك .

سأرسل لك إن احتجت .

بالمناسبة :

شعرك ، لهجتك ، وعمل والدك ..

إنها أجمل ما تملك .

أفخر بهم جداً

أنت مميّز بهم ، مميّز بطريقة مذهشه !

حافظ عليهم .

المخلص :

إبراهيم

13 \ 1 \ 2000

- ماذا أراد المدير منك ؟

- لقد أرشدني على عمل

- هل وجد عمل بديل ؟

- نعم

- جيّد جداً

- أرجو أن يناسبنا

- هو كذلك ، متى سنذهب ؟

- غداً صباحاً

- ألم يخبرك عن ماذا ؟

- بلا

- حراثته؟؟

- ليس تماماً

- إذن؟

- يوجد مزرعة ثمار علينا جمعها قبل الشتاء

- جيد

- ليس بذلك السوء .

- نعم إذن

- دعك مني ، نعم أنت

إلى أختي :

مرحباً جوري ،

هل تتساءلين من جوري؟

إنها أنت، كثيراً ما تجادلنا على اسمك

لم نقترح أسماء لكِ إلى متأخر قليلاً.

كنت أشجع على تسميتك جوري، أحب اسم جوري

أشعر أنه يناسب عيناك الصغيرة.

أنت جوري الآن

أبي وأمي اختاروا العديد من الأسماء،

ولكنني سأسميك جوري.

حسناً إذن،

كيف حال جوري الصغيرة اليوم؟

هل أكلت جيداً؟ هل نمت؟

فلنلعب سويةً إذن، إلى أين آخذك؟

هل نشترى مثلجات أم بطاطا مقلية؟

إلى أين يا جوري؟

هل فناء منزلنا كان سيعجبك؟
كم أرجوحة أردت في حديقتنا؟
أي نوع من الزهور تفضلين؟
أي لون أقرب لقلبك يا جوري؟
لعلك أجبتني قبل رحيلك،
لعلك..

5 \ 3 \ 2009

الصباح اليوم جميل، جميل جداً بالنسبة لي.
جميل لأنني وجدتُ مذكرتي الجميلة هذه!
كنتُ أدون فيه كل شيء، ولكنها اختفت.
وجدتها الآن داخل صندوق قديم لحسن الحظ!
لم أكتب على أوراقها منذ تسع سنوات.
لقد كبرت، أبلغ الواحدة والعشرون من عمري،
الكثير لم أدونه هنا..
مرّت الأيام بسرعه.
منذ تسع سنوات كنتُ في الميتم!
صديقي معاذ تخرج قبلي بعامين، ورحل
لقد تزوج من إحدى الفتيات،
ربما هو الآن على وشك أن يصبح أباً.
أنه أب عظيم حقاً.

أما أنا،

مضت السنوات بحلوها ومرها، لا أتذكر التفاصيل

ولكن من أصعب العقبات تذكر أُمي.

أُمي لم تكبر معي، مضى على وفاتها

ثمان سنوات ونصف،

رحمة الله عليها.

كبرتُ أنا.

بلغتُ الواحدة والعشرون عام.

خرجت من الميتم الذي أدين له بالكثير،

أنني أفقده جداً.

التحقت بعدها بمعهد لدراسة الهندسة الالكترونية

تخرجتُ منه، لم أعمل ضمن مجالي الهندسيّ

افتتحت دكان صغير، أعمل به

حتى عدتُ اليوم منه..

كنت أبحث عن بعض المال الذي ادخرت

رأيت صندوق قديم لم يفتح

عرفت أنه يعود لأيام الميتم، قرأت اسمه عليه
فتحته،

وجدتُ به بعض ملابس جوري الصغيرة
بعض الذكريات التي أهداني إياها معاذ قبل رحيله
وهذه المذكرة!

إنه أفضل ما حصل لي إلى الآن،
قرأتُ كلّ الذكريات، كيف كنت وكيف أصبحت
الكثير من الرسائل المرسلة والقليل من المستلمة.
كيف استطعت التخلص من الحزن
كيف أنني وصلت إلى هدفي بسلام
قرأت كيف دوّنت مشاعري عما اشتقت.
كم مره استطعت اسعاد أُمي.
كيف تحولت من طفل مدلل أُمه إلى إبراهيم الراشد
مرّت الأيام بصعوبة،
بصعوبة جعلها وجود الله معي والأصدقاء أسهل.
الحمد لله أنني هنا.

أنا لا أملك الكثير الآن.

أذهب للعمل يومياً، أكسب المال

أدخر القليل وأعيش على الباقي.

أحاول إرضاء الله بكل ما أملك،

لأنه يرضيني دوماً.

أجدد إيماني بالصلاة، هيّ ملجأى إن ضاق صدري

أحدث الله كل ليلة، أخبره كم أنا ممتن.

كم أنه كان معي في كل مرة سجدتُ له

في كل دعوة تحققت لي

الله أرحم منّي عليّ،

أصبحتُ أعيش بسلام.

شابّ بسيط، أحب المساعدة وتكوين الأصدقاء

أصبحتُ أفضل بفضل الله عليّ

لأنه الوحيد الذي أطمأن له، الوحيد القادر على فهمي

لأنه هو ربّ قلبي، ربّ الشعور الذي وجد به.

أطمأن له، ابثّ كل شيء له

أشياء كثيرة تحملها كلمة " يا رب "،

هي تخرج من منتصف قلبي.

حاملة جميع الأشياء المؤذية به

يا رب،

أنا ممتن..

ممتن لهدايتي، لثباتي على الصلاة.

أرى حياتي بالصلاة.

تبدو لي كـ تلسكوب لرؤية الطرف الآمن من الحياة

أراها طمأنينة، لا يعرفها إلا من عرف الصلاة.

إنها نعمه، دوام الصلاة نعمه.

عندما كنتُ أفرش سجادتي كانت جميع الهموم

تفرش أمامي وتتلاشى.

أنا بين يديّ الله،

الله الذي أنا ممتن له.

الله أكبر، أكبر من شوقي لأمي، أكبر من خيبتني
من أبي.

أكبر من الهم أكبر من الحزن.
الله أكبر، فتصغر الدنيا أمامي.
بعدها الفاتحة..

الفاتحة التي تفتح قلبي قبل بدأ الصلاة.
الحمد لله ربّ العالمين، الحمد لله على كلّ شيء حتى يدوم
الرحمن الرحيم، الذي رحماني عندما فقدتُ أُمي.
مالك يوم الدين، في يوم الدين يا أبي.
إياك نعبد وإياك نستعين، أستعين بك في كل شوق
ثقل على قلبي،
أستعين بك في كل مرة أسقط وتقويني،
أستعين بك في كل مرة لا أعلم الصواب فتدلّني.
إياك أستعين، فأعني..

اهدنا الصراط المستقيم،
دائماً كانت أمي تدعو لي بالهداية.
لم أكن أعلم أن الهداية تضمن كل الدعوات الأخرى،
أن الهداية معنى آخر للسعادة، للاطمئنان، للتوفيق
للنجاح للخيار الصحيح.
أمي كانت تحتصر كل شيء بدعوة " الله يهديك "
كم أتمنى أن أسمعها مجدداً.
صراط اللذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا
الضالين،
صراط حبك يا الله لأننا من دونك نميل.
ثم كنت أركع،
لا شيء يبقى داخلي ثابتاً عندما أركع.
كل الأشياء المؤذية تقع، كل شيء كان يزول.
أحب أن أركع لله،
أن تتلاشى همومي بركوع فقط!

أرى أن الصلاة موعد بيني وبين الله.
أنا أعصي الله وأتوب، أترك كثيراً من الشعائر وأتوب
كثيراً من المرات عاهدتُ الله ثم عدت.
ولكن الصلاة!

أنا أهرب من الدنيا بالصلاة،
أترك الواقع لأستريح بالصلاة
لم أحظى بحظ في حياتي أكبر من ثباتي على الصلاة.
هي من أكبر الآلاء عليّ.

عندما كنت أصلي كنت أشتاق للسجود لأدعي.
لأحكي عن آمنياتي، عن حالي، عن تقلبات مزاجي
وكنت أعلم يقيناً أن الله يسمعني.

كنت أواسي نفسي بالسجود!
وكنت أدعي أن يغفر الله لأمي وأختي.
أشكره على ابتلاءاتي لأن الله إذا أحب عبداً ابتلاه.
الله بعظمته يحبني!!

- صباح الخير
- صباح النور
- كيف حالك اليوم
- جیده
- هل تريدین الحليب كالعاده؟
- بالتأكید
- ها هو حليب الشكولاتة لفتاتي
- شكراً لك
- كيف هي المدرسة؟ ماذا فعلت اليوم؟
- الكثير من حصص الرياضيات!

- ألا تحبينها؟

- لا أتقبلها

- ك أنا

- إنها معقدة للغاية

- بماذا تقضين وقتك هذه الأيام؟

- أنا وصديقتي مروة نقضي وقتنا سويةً في القراءة

وما شابه

- هل هي صديقة جيّده

- نعم جداً

- كنت أملك صديقاً جيّداً أيضاً

- هل هو صديق أم أخ

- إنه أخ
- ما اسمه
- معاذ
- ومروة أيضاً أختي
- الأصدقاء يمكنهم أن يصبحوا إخوة أيضاً
- إخوة رائعين!
- هل تمنيت يوماً أخ أو أخت
- أتمنى جداً
- أستطيع أن أكون أخيك الكبير
- أعتبرك هكذا
- حقاً؟

- نعم يا أخي

- أختي ديانا؟

- أختك ديانا.

ديانا الصغيرة،

لم أكتب عنها من قبل.

ديانا فتاة يتيمة أيضاً، تسكن ميتم البنات المقابل لدكاني

إنها تبدو في السابعة أو الثامنة على الأغلب

تأتي دوماً بعد المدرسة لأخذ حليب الشكولاتة خاصتها

هي فتاة مهذبة جداً ورائعة.

رغم صغر سنها إلا أنها تعلم الكثير،

حتى أنها تفهمني،

تتكلم معي دوماً عما يزعجها

تأتي تستشيرني في حل مشاكلها

أشرح لها بعض الدروس

أرى جوري بها، أنا لا أعلم كيف تبدو جوري

ولكنني أعلم أنني أتمنى أختاً صغيرة

ديانا عوضتني عن جوري، ليس تماماً ولكنها

كجوري تماماً.

أرتاح عندما أرى ديانا
أشعر أنه ما زال هناك شيء لطيف ك هي.
إنها بشعر بني قصير، وعيون عسلية جميلة جداً
تملك قلب لطيف، تثق بي دائماً
أعرفها منذ صغرها،
ديانا فتاة حالها ك حالي، لا أعلم ولكنني أرتاح عندما
أقابلها جداً.
تحكي لي كل شيء يزعجها، كل ما يدور في مخيلتها
إنها بريئة لحدٍ ما ولكنها ذكية!
منذ أسبوع أتت تحمل بيدها ورقة، كانت عبارة عن
رحلة مدرسية تقيمها مدرستها،
من شروط الرحلة توقيع وليّ الأمر عليها
أخبرتها أن تذهب إلى مديرة الميتم
ولكنّها رفضت، كانت مصرة أن أوقع لها أنا.
كنتُ أشعر بشيء طالما تمنيتُ أن أشعر به
أنا ك أخ كبير، ديانا طلبت مني أن أوقع

وقعت..

ولكنّها طلبت أن أكتب أيضاً

" أخوها إبراهيم !!!

هل تعتبرني ديانا أخ لها؟؟

أم أنها طلبت هذا فقط..

ولكنّها جاءت إليّ!

هل أنا أخ؟؟

ديانا بعيوني ك جوري لا أستطيع رفض طلب لها.

أنت ديانا اليوم ك العادة..
تحدثنا قليلاً، ثم بدأت تبحث في حقيبتها عن شيء.

- إبراهيم!

- عما تبحثين؟

- هناك ورقة أعطتني إياها المديرة عندما سألتها عن
شيء يدل على أمي وأبي..

- حقاً؟؟ أين هي؟

- وضعتها هنا لتراها

- ديانا يا صغيرتي ربما نعرف أهلك منها

- ولكنهم ماتوا.

- يمكنك معرفة القليل عنهم، أو حتى أقاربك!
- لم أستطع فهم الخط المكتوب، أريد منك قراءتها لي
- هاتيها إذن أين هيّ؟
- لم أجدها
- ديانا إنها مهمة جداً، كيف تسلمك المديرية شيئاً
ك هذا ما زلتِ صغيرة.
- لست صغيرة يا إبراهيم!
- بلا صغيرة
- كنت سأعيدها البارحة ولكنني أبقيتها لتراها
- هل أضعتها يا ديانا؟؟
- ربما هيّ في الميتم، سأذهب لأحضرها غداً

- أتمنى أن تكون هناك!

- لا تقلق هي هناك

- لا تعودى غداً من دونها!

- حسناً

ديانا الشقيّة أضاعت ورقة مهمه جداً،
كنت أستطيع مساعدتها بالبحث عن أقارب أو ما شابه!
أتمنى أن تجد الورقة غداً، كم أتمنى هذا..
بينما أنا ألوم ديانا، دخل رجل لم أره من قبل
يبدو عليه أنه ساعي بريد.
ظننتُ أنه أتى ليشتري شيئاً ما، ولكنّ خاب ظني!

- أنت وليد عمران؟؟

- نعم

- توجد ثلاث رسائل لك

- لي أنا

- نعم، تفضل

- رسائل لي!!

شكراً على كل حال..
نظرت وإذا هي ثلاث رسائل حقاً..
واحدة منهم من البريد،
الباقى م أميّزه لذهاب الحبر..
التاريخ قديم جداً
منذ تسع سنوات!!
منذ وفات أمي!!
كيف؟؟
ممن؟؟

إلى أمي:

مرحباً وألف حبٍ على روحك..

كيفُ حالِ جميلتي،

أفضل أم على الإطلاق..

أخبرتكَ أنني أعمل في دكان صغير بعد تخرجي،

الفكرة بدت لي أفضل من العمل في مجالي.

ديانا،

الفتاة الصغيرة التي تأتي لدكاني، أعتقد أنني أخبرتك

عنها..

هيّ كـ أختي، كل شيء يشدني للحديث معها

شيء ما يجعلني ابتسم عندما تأتي،

عيونها تشبه عيون أحدهم، ربما معاذ!!

إنها عسلية، جميلة جداً!

أنا أراها جوري، أعتبرها أختي يا أمي.

لو كنتِ هنا كنت ستحبينها حتماً

أنت اليوم، إنها شقيه أضاعت دليل عائلتها الوحيد
كنت سأبحث لها ن أقاربها.
أشعر أنني سأجد أقارب ديانا قريباً،
هيّ تستحق أن تعيش مع عائلة.
إنها لطيفة جداً!
سأحاول مساعدتها غداً..
أمرٌ آخر،
جاء ساعي البريد اليوم
أعطاني ثلاث رسائل، لم أفتحهم بعد.
التواريخ عليهم تبدو أنها منذ تسع سنوات!
سأفتحهم الآن،
ربما هي مجرد تعازي من أحدهم.
أظن هذا، على كل حال
أحبك..

الرسالة الأولى
" البريد السريع "

2009 \ 3 \ 26

إلى إبراهيم عمران:

نعتذر عن وصول رسائل لك في وقت متأخر جداً
حصل هذا نسبة لموت صاحب البريد توقف العمل
واستقالة الموظفين.

نعيد أسفنا مرةً أخرى، نعتذر جداً لهذا التأخير
نرجو إعادة استعمال بريدنا دوماً
شاكرين لكم..

المدير العام.

الرسالة الثانية
" عمران أحمد "

14 \ 8 \ 1999

إلى إبراهيم عمران:

بني إبراهيم، كيف وجدت الميتم؟
كيف هو أول يوم لك فيه؟
أنا أفقدك جداً.
أفقدكم جميعاً..
أمك وأنت وأختك، عائلتي الأحب لقلبي.
كن قوياً يا إبراهيم أثق بك جداً
أثق أنك ستكبر وتصبح رجل عظيم،
تصبح أباً عظيماً لا تشبهني!
أنت الوحيد الذي أستطيع تأمين أبنتي لديه،
أختك لم تمت يا إبراهيم،
أخذتها المشفى بعد الولادة..

ماتت زهرة منزلنا،

أمك.

وبقيت أنت وأختك فقط

أختك بميتم الزهور، القريب من قريتنا.

عندما تكبر قليلاً اذهب وخذها،

أحبها، اعتن بها..

اذكرني بالخير أمامها،

أوصل لها كم أحبها، كم كانت ناعمة الملامح عندما
ولدت.

أخبرها يا إبراهيم أنني تمنيتها كثيراً

أنني أكثر أب فخور بأبنائه

ضعها في عيّنيك، لا تدع الدنيا تحزنها

اسندها.. هي لا تملك سواك!

أحبك جداً

والدك..

الرسالة الثالثة

"مستشفى السلام"

15 \ 8 \ 1999

إلى إبراهيم عمران:

"شهادة وفاة"

الاسم: عمران أحمد

العمر: 34 سنة

الزوجة: أروى جميل "توفيت"

عدد الأولاد: اثنان

السبب:

توفي بسبب مرض.

أعراض المرض:

النسيان، العصبية، الإرهاق

توفي اليوم صباحاً، الوصية سترسل إلى ابنه الوحيد

" إبراهيم عمران "

البالغ من العمر 12 عام.

مدير المستشفى:

أسامه

15 \ 8 \ 1999

28 \ 3 \ 2009

الساعة الآن الثالثة فجراً
مرّ يومان على الرسائل.
قراتها مئات المرات، إلى الآن لم أفهم كيف أتت
ما هو محتواها هذا؟
أيُّ أخبارٍ كتب فيها؟؟
إلى الآن لم أصدق،
عدتُ للمنزل، قرأتها هنا..
مرّ يومان وأنا هكذا،
لم آكل لم أنم، أنا بتُّ لا أشعر أبداً
صدمت..
كأنها رسائل مسحورة!
سحبت الحياة من شراييني،
ولكنّ كيف؟؟

بأي حقٍ تأتي الآن؟؟
كيف، لماذا، أين؟؟
في البداية سحقا للبريد.
سحقا له!

كيف يأخر الرسائل تسع سنوات!!
تسع سنوات!

هل الحياة تمزح معي مجدداً؟؟
حسناً، تأخر الرسائل وتم الأمر
ماذا عن المكتوب؟؟
ماذا عن أختي؟

جوري؟؟
أبي؟؟

مرض؟؟

وفاة؟؟

كيف حصل كل هذا دون علمي؟

أختي على قيد الحياة!
جوري على قيد الحياة!
تسع سنوات أختي تتنفس من الهواء ذاته!
تسع سنوات جوري هنا في الدنيا!
أتمنى أن أراها وهي هنا!
جوري لم تمت!!
أملك أختا!
كيف لإبراهيم أن يملك أختاً؟
أين جوري أين أختي يا الله؟
أين تعيش؟ ماذا تأكل؟
هي حيةٌ يا أمي، حية!!
هل هذا حلم؟ كيف لجوري أن تعيش؟
ألم ترحل مع أمي؟
أيهم مجرد حلم يا الله أيهم كان كابوس؟
هل موت أختي أم عيشها؟

أيهم الحقيقة؟

دلّني..

أبي!!

هل مات؟

هل أعطى حياته لأختي؟

ولكن كيف؟؟

كم كيف بعقلي الآن؟

كيف أبي مات؟

هل تركني بالميتم لأنه يعلم بموته؟

هل هو حنون؟؟

هل ما فعله صواب وأنا الغلط؟

هل ظلمته؟

هل ظلمت أبي؟؟

هل كل كلمة قلتها لغريب عنه كذب؟

هل هو من يتوجب عليه مسامحتي لا أنا؟
كم قلب أب ك قلب أبي في الدنيا؟
هل هو مريض؟
هل أمي كانت تعلم؟
هل كان المرض سبب الصراخ من أبي؟؟
هل طول هذه السنين لم أعرف أبي؟
هل مات وهو يحبنا؟
هل أنا فتى سيء؟
رأيت الكثير من " النعم " أمامي تتلاشى!
الكثير جداً، كل الأسئلة كانت إجابتها " نعم "
بات كل شيء واضح!
كل شيء ظننته حقيقة، تبين أنه ليس كذلك
ذهبت الغيوم، صفت السماء الآن!
كل شيء واضح، أنا إبراهيم الفتى السيء
الفتى الذي لم يدرك أنه يمتلك أفضل عائلة على الإطلاق
يا ليتك قبلتني يا أبي قبل رحيلك!

يا ليتني كنتُ أفهم حينها..
فجأة رأيت عيون أبي أمامي،
عيونه المليئة بالدموع!!
آخر نظرة عميقه رأيتها داخل عيون أبي!
عندما كان يواسيني لموت أمي!
أنا لم أفهم حينها، الآن رأيتها بشكل مختلف.
الآن فهمت النظرة التي لم أفهمها من قبل!
كان يعلم أن الدنيا ستفرقنا،
أنه لن يراني كبيراً يفخر بي!
أبي كان يرى كل شيء!
أنا الوحيد الذي لم أعرف شيء.
تمنيت أن تنشق الأرض وتبتلعني!
أن أعود وأمحو كل الكلمات التي خرجت عن أبي .
أن أعاقب نفسي، أننبها، أن أخبر الجميع أنني كنت
أعمى عن امتلاك شخص ك أبي ..
أخبرهم كم أنا محظوظ!

ولكن رحل الجميع، عرفتُ الحقيقة وحدي!
أبي ليس عديم الضمير كما أخبرتك يا أمي!
أبي أفضل شخص حظيتُ بقربه اثني عشر عام
الدنيا تلاشت أمامي..
كيف غير الله حالي من حالٍ إلى حال.
إنه القدر!
لا أصدق ما حصل..
هل أنا سعيد لجوري ، أم حزينٌ لأبي
أم غاضبٌ مني ،
أم أريد أمي فقط .

أنا عالقٌ من أيام هنا ،
داخل دوامة كبيرة ، مخيلتي تتخبط !
لا شيء على ما يرام بي
كل شيءٍ داخلي ينادي ،
تارةً جوري وتارةً أبي !
أحياناً أرى طيف أمي امامي .
الظلام حالك جداً ، ضوء القمر يأنس وحشتي
لقد غرقتُ حتماً الآن !
أنا الغريق الذي لا يرجو النجاة
كلُّ شيءٍ معقّدٌ من جديد !
الخيوط تتشابك ، تعرقلُ كل شيءٍ بات سهلاً .
تدفعني للجنون !
لست بخيرٍ البتة ، أنا أشعر بالشيء واللا شيء
كلي شعورٌ تائه
كربيع بعد عاصفة ثلجية ، أو العكس !

الأشياء الحلوة اختلطت مع المرة فيها
الطعم لاذع ، غير مقبول .
عليّ المضي لإيجاد جوري
وأبي ..
سأدعو الله أن يسامحني !

- أين اختفيت لمدة يومان
- في المنزل
- هل حصل شيء ، لا تبدو على طبيعتك
- لا لم يحصل شيء ، ألم تذهبي إلى المدرسة
- كنت أريد رؤيتك
- إنني بخير
- لقد وجدت الورقة
- حقاً ؟
- نعم ، تفضل
- ضعها هناك

- سأذهب للمدرسة عند عودتي أخبرني ماذا حصل

- حسناً سأخبرك

- شكراً لك

عندما وصلت وجدت ديانا تقف على الباب

كانت تبدو قلقة ، لم أتوقع أن تقلق ديانا

سأذهب إلى ميتم الزهور بعد قليل

جنّت لتفقد الدكان قبل رحيلي .

جلستُ أفكر كثيراً ، شارد بمخيلتي إلى البعيد

إلى عيون أبي آخر مرة ، كيف نظر لي

تذكرت جملة " أنا لم أتخلى عنك "

حقاً يا أبي لم تتخلى ،

الآن علمتُ أنك لم تتخلى .

تَبَّأَ لِي .

كيف بدا كل شيء كأن أبي تركني ورحل

وكيف أن كل شيء كان كاذباً !

جميع الأشياء طلبت مني تصديقها وتكذيب أبي .

ولكنَّ أبي كان الصادق فقط !

أفكر وأحمل نظري على كل شيء

وقعت عيناَيَّ على ورقة ديانا ..

أخذتها ،

جلست على الكرسي

أمام الباب المطل على حركة الناس

الورقة قديمة جداً ،

تبدو أنها منذ ولادة ديانا

الفتاة الصغيرة التي ستجد عائلتها !
وجوري أيضاً ستجد عائلتها ،
إن لم أجد أقارب لديانا سأخذها لتعيش معي أنا
وجوري ..
لن أتركها وحدها .
فتحت الورقة ،
الخط غير واضح ، بدأت أقرأ ببطء ..

" شهادة ميلاد "

5 \ 8 \ 1999

الاسم : ديانا عمران

الاب : عمران أحمد

الام : أروى جميل

اليوم : السبت ، 5 \ 8 \ 1999

تتقل المولودة إلى ميتم الزهور ، حسب وصية ولادها
بعد وفاة والدتها

تملك أخاً واحداً غير راشد في سن الثانية عشر

يمكن منحه أخته بعد بلوغه الثامنة عشر

السماح له برؤيتها وزيارتها

الأب :

عمران أحمد

- هل أنت مديرة الميتم ؟
- نعم ، تفضل
- أريد أخذ الطفلة ديانا
- ديانا عمران ؟؟
- نعم
- من أنت
- أخوها إبراهيم
- أنت الذي ذكرت في الوصية
- نعم
- كيف علمت

- رأيت شهادة الميلاد
- أين هي الآن
- ها هي
- هل بلغت الثامنة عشر ؟
- أنا في الواحدة والعشرون
- هل أخبرت ديانا ؟
- كلا ، ليس بعد
- حسناً ، سأؤكد منك أولاً
- كما أردت ، هل يمكنني سؤالك ؟
- تفضل

- من سماها ديانا ؟

- الأب صاحب الوصية

- والدي إذن

- نعم

- سأعود لأخذ الأوراق

- حسناً

خرجت وأنا أركض ،

ديانا هي جوري!!

أنا متلهف لرأيته ، كأنها أول مرة ..

كأنني لم أرى ديانا من قبل ،

كيف لديانا أن تصبح جوري ؟

كيف ؟؟

عندما وصلت طلبت إحضار ديانا ،

عندما خرجت من الباب كانت تدخل على قلبي .

هذه المرة ديانا مختلفة !

مختلفة جداً ، لم أراها جميلة كما رأيته اليوم !

تقف أمامي ..

ك فراشة على أقحوان !

هي لا تعلم كم أفقدها ، كم مرة حلمت بعينيها

كم مرة غلبني الشوق ، كم مرة أردتُ رأيته تبسم .

هي لا تعلم أنها أختي ، ولكنني أعلم أنني أخوها !

رأيته تمشي وتقول :

إبراهيم ؟؟ لماذا جئت ؟؟

- لماذا جئت؟؟

لأنني مشتاقٌ يا ديانا ، مشتاقٌ منذ واحد وعشرون عام
مشتاقٌ منذ سنوات !

لماذا جئت؟؟

جئت كي أعانقك ، كي نشتري الحلوى ، لنركض سويةً
نلهو ، نلعب ..

هل من حَقكِ سُؤالي لماذا جئت؟؟

- جئتُ لأخذكِ ..

- إلى أين؟؟

- إلى حضني !

عندما عانقتك كلُّ الأحلام غادرت ، كلُّ الأمنيات تحققت
عندما عانقتك ن شملت رائحة أُمي ..

كيف لرأحتها أن تتمسك بكِ تسع سنوات!!

ثم نظرتُ إليك ..

وإذا بعيون أبي أمامي ، كيف سرقتي عيون أبي هكذا؟؟

كم أن عيون أبي تشبه عينيك !!
أبي أحبك يا ديانا ،
أورتك عيناه ..
وأنا أحب أبي وعيونك وأنت وأمي !
هل تعلمين ،
عندما رأيت عينيك أول مرة قلتُ في نفسي :
" أعرفُ عينيك "

- ديانا !

- ماذا ؟

- أنا أخوك !

- نعم أنت أخي ..

- كلاً أخوك ، أخوك الحقيقي يا صغيرتي !

- هل أملك أخاً؟؟

- أنا

- أنت أخي ؟؟

- أخوك

ما زلتِ صغيرة لتفهمي ، كم ضحى أبي وأمي من أجلنا
كما كنت صغير عندما نظر لي أبي آخر مرة.
ولكنّ أنت ، تابعي النظر لي ..
لا أريد عيوناً أجمل من عينيّ أبي لتتظر لي !
هلمّي إليّ ضمني ..
كم لوحة رسمت لك في مخيلتي ،
كم مرة عانقتك ولم تكوني ..
ولكنك الآن أنت هنا !!
أملك أختاً ..
ذكرى أخيرة من أبي وأمي ، أختاً أحكي لها أن أُمي
جميلة ، وأنها ابنة أفضل رجل على الإطلاق !
وأنها تملك أختاً يحبها ..
يحبها جداً يا ديانا ..
جداً يا جوري ..
جداً ..

- كيف حصل هذا يا إبراهيم

- شهادة ميلادك ، تتضمن اسم أمي وأبي

- هل أنا أختك حقاً؟؟

- نعم أختي

- أخي إبراهيم !!

تمنيت حينها أن لا يناديني أحد سوى أختي ،

أن لا أسمع كلمة أخي سوى منها

كل الناس تنطقها إبراهيم ،

إلا ديانا وأمي وأبي

إنهم مميزون جداً حتى في قول " إبراهيم "

- أخي إبراهيم !!

أيّا ليتني كنت أسمعها منك قبل واحد وعشرون عام .

أخذت ديانا ،
ذهبنا إلى منزلي الصغير
جلسنا ، تناولنا سوية طعامها المفضل .
ثم اشترينا الحلوى ، تنزهنا
لعبنا ..
ضحكنا ..
وتكلمنا كثيراً ..
حاولت أن لا تمر ثانية إلا وهي تبتسم
لأنني كنت أبتسم ، كانت الابتسامة تشق وجهي !
أبتسم في وجه الدنيا ،
في وجه الأعوام التي مضت من دونها
أختي ديانا بقربي !
جوري لم تمت !

تارة أناديها جوري ، وتارة ديانا

وهي تضحك ..

وقلبي يضحك ..

إن " جوري " حقاً عدسة لرأيت الحياة بابتسامه

لأنني أملك أختاً ..

أنا سعيد جداً !

إلى أمي :

أتسائل إن قبلت أختي قبل رحيلك !

هل رأيته ؟

كيف هي قادرة على حمل ملامحكما بهذا القدر !

أنا مشتاقٌ لكِ جداً يا أمي ،

لقد قرأ الله عيني ، جمعني بأختي .

هي تلك الفتاة التي حدثتك عنها ،

ديانا أختي يا أمي !!

أختي التي كانت في بطنك قبل تسع سنوات

أتحسسها !

هي الآن نائمه بقربي هنا .

أراها بين الفينه والأخرى ، أخاف إزعاجها

ابنتك تشبهك جداً ، ولكن عيونها كعيون أبي !

ولكنها طيبة الأخلاق ..
تشكر الناس دائماً
أعتقد أنك ستفخرين بها يا أمي !
هي في مأمن معي
سأعتني بها بكل جوارحي !
أحبكِ ..

إلى أبي :

السلام على روحك منذ تسع سنوات وإلى الآن .
والدي العظيم ،

أطلب السماح ، سماحاً من القلب

اليوم انا أبلغ الواحد والعشرون عام

منذ تسع سنوات تركتني في الميتم ، ورحلت !

رحلت إلى أمي يا أبي ..

كتبت لي آخر رسالة ، ولكنها وصلتني قبل أيام

القدر قدر لي اللقاء بأختي اليوم !

أختي بخير جداً ، تحبك جداً ، تشتاق لك جداً

أخبرتها مراراً عنك وسأبقى أخبرها

هي تشبهك بعيونك ، كلما نظرت لها ارتويت !

أتمنا لو أنكم هنا ،

لتحبانا نحن الاثنين .

ولكن اطمأن ، أنت صنعت رجلاً ورحلت
إبراهيم يا أبي رجل كما أردت ،
سأحب أختي كثيراً كما أوصيتني ..
اليوم أول يوم لي معها ،
أرى الدنيا بها
شكراً لك ولأمي ، أنتما معي ومعها دوماً .
سامحني !!
أحبك جداً .

إلى معاذ :

صديقي معاذ ، أخي ..

كيف أصبحت ، هل رزقت بطفل!!

ستصبح أباً عظيماً جداً ثق بي

أنا سعيد جداً

بخير جداً

أحب الحياة جداً

لن تتخيل ما حدث!!

أولاً ، أبي مات منذ وفات أمي

هو ليس كما ظننتُ يا معاذ ، ليس كما أخبرتك عنه

كتب لي رسالة تضمن كل شيء

ولكنها لم تصلني

إلا منذ أيام !!

أختي لم تمت ،
عاشت في ميتم ك أنا ،
اليوم عرفت الحقيقة ، اليوم التقيت بها !
هي بقربي الآن !
أشكر الله على كل شيء ، على كل التفاصيل .
الحمد لله ..
ماذا عنك ، أخبرني ..
أود مقابلتك !

المخلص :
إبراهيم عمران .

إلى الدنيا :

أنا واقفٌ من سنوات هنا ، أرى تقلباتك !
تارةً تكونين بصفي ، وتارةً عدوٌ لدود لي .

انتظرك ،

متمسكٌ بأطراف الحافة ،

كلي ممزوجٌ بالصبر !

أنا هنا أقف ..

لا أريد الماضي لأرى بنفسي ماذا فعلت .

ولكنك أنت أيضاً تبتعدين ،

دون النظر للفوضى التي تخلفينها في كل مرة !

لا تنظرين للفتات المتلاشى ،

أنا فقط من أراه وأعيد ترميمه ..

لأنه فتات قلبي أنا !

ثم ماذا بوسعي أن أفعل ؟
ها أنتِ تعتذرين لي ..
أعدتِ جوري ،
فهل من طريقة لإعادة أُمي ؟؟
أم أنكِ أخذتِ أبي وأُمي وتركتي جوري ؟؟
كيف يبدو المشهد من نافذتكِ ؟؟
هل السيناريو المكتوب جيّد ؟؟
هل هذه التقلبات مدحٌ منك أم مسبة ؟؟
ولكنّي ما زلت واقف ..
مرّ عليّ الشتاء والخريف
اجتزتها وحدي حتى دون مظلي !
ربما استطعت اخذ أُمي مني ،
ولكنّ قبلتها الأخيرة ؟؟
ألم تعلمين أن قلب الأمهات يشعر ؟؟
أم أنكِ لم تحسبي حسابكِ لهذا ؟؟

ماذا عن نظرة أبي؟؟
هذه أيضاً بقيت داخلي .
تعلمتُ منك أمراً ،
أنتِ بإمكانك سحب كل الأشياء من حولي ،
ولكن!!

ماذا عن تلك التي بداخلي ؟
هي عالقة داخلي بقوة ، متمسكة بشرايين دمي !
لن تستطيعي أخذها مني .
أود إخبارك أيضاً ،
أنت من هزمتي أخيراً ..
أشكرك على كل شيء .

إلى جوري :

هل تعلمين يا جوري ،

اليوم وجدتكِ ..

أراه حلماً لحد الآن !

جوري أم ديانا ؟؟

أنت جوري خاصتي وديانا أختي ..

سنلعب كثيراً ، ونشتري حلوى كثيراً أيضاً

اطلبي ما تشائين ،

ليس في قاموسي إلا النعم لكِ

أنت صاحبة النعم ..

لأنكِ كل النعم والأمنيات التي تحمد !!

نامي بهدوء أماننا الكثير لنفعله سوياً .

أحبكِ .

لا أعلم عن كنت هديه من السماء لي
إن كنت رسالة اعتذار من الدنيا ؟
ولكنك شيء عظيم جداً ..
ك نص مقتبس من رواية !
أو ك دعوات الأمهات ربما!
فاتنة ، تشبهين علامة تنصيب أو خط
وضع تحت الكلمات التي أعجبتني !
وأنت أعجبتني أيضاً ..
أريد أن أسألك ،
كيف للمرء أن ينتصر على الدنيا بواسطة
عينين ؟
أخبريني ..

